

سفر عبر العصور

في حمأة هذا الجو المتلبد الذي نعيشه، فاجأتنا المديرية العامة للأثار بإفتتاح معرضها «صيда» ١٥ سنة من الإكتشافات الفريدة» شكرًا!

عند بوابة عكا - البوابة الفوقا في صيدا، وعلى بعد أمتار من القلعة البرية الصامدة، في موقع الفيرير على التل الأرخيولوجي، عزف النشيد اللبناني متوجاً ١٥ سنة من التقريب. هناك، وبحضور رسمي، أنتشرت كوكبة من فريق عمل البعثة البريطانية، تستقبل زوار الحفل والتاريخ بإبتسامات عريضة، مفعمة بحب الأرض والتاريخ والإنسان.

سيدة جميلة من لبنان، في عداد البعثة البريطانية، تبتلت في محراب هذا الموقع، وقضت اليوم وراء الميكروفون تشرح ما وصلت إليه من إكتشافات، معددة بدقة ما تذخر به هذه البقعة من حضارات، بين قلعتي صيدون العظيمة. كلود سرحال، مضيضة الحفل، عملت في أصعب الظروف التي مرت بها البلاد. حدثتنا بلهجة مميزة، أغنت مشاعرنا بعظمة تاريخنا. كانت تشير إلى مواقع الحضريات وتسميها بتاريخها متنقلة بين الثلاث آلاف والألف الثاني والبرونزي

والفينيقي والفارسي والروماني، وكأنها نبتت فيها وترعرعت.

في المعرض تقاجاً بمعروضات غاية بالدقة، شغلت بذوق رفيع، تضاهي أجمل ما نسعى إلى مشاهدته في كبريات متاحف الكون، اللوفر والإرميتاج وغيرها.. ربما الصائغ أو الصانع هناك لم يكن يحمل هم التقنين وانقطاع التيار الكهربائي، فأبدع.. وأساور تحتوي على خرز من الذهب، أحجار كريمة من الجمشق والعقيق الأحمر والحجر البلوري، تأخذك في رحلة من التفكير عبر الألف الثاني قبل الميلاد. كيف تم صف حبات العقود المعروضة؟! بل كيف تم تقبها بدقة متناهية؟!

معروضات خمسة آلاف سنة من التاريخ تحدثك عن العصور التي شكلت صيدون، أقدم المدن على الحيد البحري شرق المتوسط، المرفأ الذي كانت تقصده السفن مرسى للتزود بالمؤن والإمدادات ومنتجات التبادل التجاري، الذي لم ينقطع منذ الألف الثالث قبل الميلاد، تكشف عن عادات حضرية لسكان هذه المدينة، توارثتها الشعوب التي أستوطنتها.

عن دعم هذا العمل يا ترى؟!...

المدينة الحالية في صراع لاختطاف الأرض الضيقة، تزرعها عمارة سعياً وراء الريح السريع، تحرمنا الأمل في توسع تنقيبات صيدون. معمل الموركس أندثر هنا، فمن يصنع لنا أرجوان الوطن؟! نعمل أن إمكانيات الدولة في إنحسار.... لكن في المدينة هذه قطاع إقتصادي عظيم، تشبه رجاله بأسلافهم ركوب البحر والصحارى وعواصم القرار. ندعوهم لمد يد العون لصيدون عبر العصور كما لصيدا القديمة التي تعبر حالياً إلى تلك العصور جراء العوز، لزيارة السيدة كلود وخلية النحل التي عبرت المحيطات معها لاستكشاف حضارة التل. وهنا كذلك ثروات تنتظر الإستثمار. جبيل مدينة فينيقية يدخلها اليوم آلاف السواح من جميع الأمم، يعتقد البعض أن ذلك يعود لبيع المشروبات الكحولية فيها. صيدا، التي ورد ذكرها ٢٨ مرة في الكتاب المقدس وتحديث عنها الحوليات الأثرية وكل حضارات المتوسط تدعوكم إلى إستيباط ذهنية قادرة على جذب الناس، لمشاهدة ثرواتها وعظمة تاريخها.

زهرة عبد الله

رئيسة جمعية حماية البيئة

تم كسرهما عمداً على أرضيته بعد الإنتهاء من مراسم إحتفالية. وكذلك تنور كانت تعد فيه أطعمة المراسم الإحتفالية والجنائزية. ١٦٠ كليوغراماً من الشعير والقمح المحروق تم إكتشافها في مستودع كان قد تعرض للحريق. أثرت العناية الإلهية أن تعرفنا إلى أقدم أنواع القمح (إيمير) في فترة ما بين ٢٢٠٠ و٣٣٠٠ ق.م.. ما يدل على أن عادة تخزين الحبوب في المرافق ما زالت مستمرة منذ تلك الأيام... في الطابق الثاني من المعرض صناديق مكدسة، تم نقل محتوياتها من حفريات التل. خلية نحل تعمل بلا كلل على توثيقها ودراستها. يحدونا الأمل أن تتمخض الأمانى عن بناء متحف لصيدا في هذا الموقع، يضم بين جنباته الثروة التي تم إكتشافها بهمة المتحف البريطاني، إضافة إلى مكتشفات أشمون والدكرمان التي أودعت المتحف الوطني. قد تفاجأ هنا، مؤسسات لبنانية وعالمية تقوم على رعاية ومواكبة أعمال التنقيب، من بينها بلدية صيدا. لماذا توانى القطاع المحلي

أسلحة الصيد المعروضة، تؤشر إلى شعب أمتين صيد البر والبحر. فالأسلحة والبرونزية التي وجدت في المدافن تحيرك، لدقة وحرفية التقنيات المستعملة في صنعها، في الألفية الثالثة قبل الميلاد، سلاح يتحدث عن غنى أصحابه، يرمز إلى سلطة نخب إجتماعية تركت في هذا الموقع هياكل حيوانات ضخمة، منها الدب والأسد والفرس النهري. هنا كذلك، تكشف التنقيبات عن عادات إجتماعية، عن ولاء جماعية تلي رحلة صيد، صورت مشاهد منها على ختم معروض.

سنانير صيد البحر ما زالت على حالها، تحكي عن غنى بحر صيدون تلك الأيام، حيث لا ديناميت ولا ممنوعات. لقد كشفت التنقيبات عن هندسة مدنية راقية في هذا الموقع. بيوت ومخازن وأبار مياه ومدافن وسور المدينة.. أشادتها حضارات مختلفة، حفظتها العناية الإلهية، ضناً أن تندثر حتى أدق التفاصيل فيها... في هذا الموقع معبد بطول ٣٧ متراً، وجدت فيه مصابيح وصحون فخارية

